الفينيقيون

هم من اقدم الامم عهداً واغمضها تأريخاً لا يكاد يُعرَف من امرهم الا الشيء القليل مما توحي بهِ آثارهم الباقية ومما انتهى الينا من صُحُف مؤرخيهم وان هو الا شذورٌ ناقصة مما كتبهُ سَنكُنيات احد كهنتهم في عصرٍ لا يُعلَم بالتحقيق وقد فُقد تاريخهُ الا لُمَعاً مما تُرجم منهُ الى اليونانية على يد فيلُون البيبلوسي رواها اوسابيوس القيصري واكثرها في شرح عقائد الفينيقيين والمصريين

وقد اختلف المؤرخون في اصل الفينيقيين فقيل هم من العرب ابناء اسمعيل بن ابرهيم وقيل من ابناء كنعان بن حام وردوا فينيقية من ارض أَشُّور لحيفٍ وقع عليهم هناك فنزلوا بالمكان الذي اختطّوا فيهِ مدينة صيدآء وهي اول مدينةٍ فينيقية ثم انتشروا فيما يليها من الساحل الى شمالي طرابلس وجنوبي رأس الكرمل وما يلي هذه المسافة من البرّ الى سفح الجبل الشرقي وهي بقعةٌ لا تزيد على ١٢٥ ميلاً طولاً في نحو ٣٠ عرضاً وهي الموطن الاصليّ الذي نشأت فيهِ هذه الامة العظيمة التي ملأت آثارها ما بين الشرق والغرب ولا بدع مع ما اشتهر بهِ رجالها من الذكآء والاقدام ومع ضيق مضطرَبهم في تلك البقعة الصغيرة وانفساح البحر امامهم وكثرة ما في ارضهم من الاشجار الباسقة ان يكونوا امهر امةٍ في ركوب البحر وبناء السفن وتعاطي التجارة الى ابعد مكانٍ في المعمور

وكانت اشهر مدائنهم مدينة صور بُنيت على اثر مدينة صيدآء فيما يُنبي

من المدائن الفينيقية من مثل بيروت وبيبلوس (جُبيل) وانترادوس (طرطوس) وارادوس (ارواد) وطرابلس وغيرها الا انها لم تلبث ان فاقت تلك المدن باسرها وكسفت بهآء صيدآء العاصمة الاولى ولم يأتِ عليها الا قرونٌ قلائل حتى اصبح البحر الرومي في قبضتها وانبثّ رجالها في جميع السواحل الشرقية منهُ ثم تبسطوا في غربيهِ فانتهوا شمالاً الى غربي اسيا الصغرى فجزر اليونان والبحر الاسود وجنوباً الى نواحي تونس فابتنوا ثمة مدينة قرطاجة المشهورة وما يتبعها من المدن واجتازوا من هناك الى اوربا فدخلوا جنوبي ايطاليا وصقلّية ثم سردينيا وكرسكا فبلاد الغال واسبانيا وتركوا في كل موضع انتهوا اليهِ طوارئ[1] منهم وأسسوا مدناً جعلوها مراكز لتجارتهم . ثم عبروا مجمع البحرين فخرجوا الى الاتلنتيك وجازوا شمالاً الى البلطيك وجنوباً الى الجزائر السعيدة ثم طافوا من حول رأس الرجآء الصالح وانبثت طوارئهم على شواطئ البحر الهندي واتخذوا من اليهود فُرضتين على شواطئ البحر الاحمر وابتنوا عدة مدن على شواطئ الخليج الفارسي منها مدينة باسم تيروس (صور) واخرى باسم أرادوس (أرواد) وغير ذلك

اما حكومتهم فلاسبيل الى معرفة ما كانت عليهِ بالتحقيق لكن يقال انها كانت في اوائل امرها نوعاً من الجمهورية الديمقراطية الا انها ولا بد كانت تحت سيطرة الكهنة لما كان لهم من السطوة والنفوذ . وكانت كل

(١) جمع طارئة وهي الجماعة تطرأ من ارضها الى ارض اخرى تعريب Colonie ولا بأس ان تطلق على الارض التي تتوطنها تلك الجماعة ايضاً من باب المجاز المرسل على حدّ استعمال اللفظة الافرنجية بالمعنيين

مدينةٍ من المدن الكبرى مع اعمالها جمهوريةً قائمةً بنفسها وكان بين تلك الجمهوريات الصغرى نوعٌ من التحالف وجآء في بعض التواريخ انهم كانوا يعقدون في كل مدةٍ مجلساً عاماً يُرسَل اليهِ نوابٌ من جميع تلك المدن يجتمعون في طرابلس

غير انهُ بعد ذلك استحالت تلك الجمهوريات فكان لكلٍّ من مدينتي صور وصيدآء ملكٌ يتولى امورها الا انهُ لم يكن مطلق الحكم ولعلهُ كان كذلك لسائر المدن الكبرى . واول من عُرف من ملوك صور ابيبعل جلس على سرير الملك في اوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد وكان معاصراً لشاول ملك اسرائيل . ثم خلفهُ ابنهُ حيرام الاول تولى نحو سنة ١٠٥٠ وكان محالفاً لداود ثم لسليمان من بعدهِ وهو الذي ارسل الى سليمان الاستاذ حيرام ورجالهُ لبنآء الهيكل المشهور باورشليم واطلق لسليمان ان يقطع ما شآء من ارز لبنان حتى اصبح خشب الارز في اورشليم « مثل الجميّز الذي في الصحارَى كثرةً » وجعل سفن سليمان مع سفنهِ فكانت تأتي ترشيش مرةً في كل ثلاث سنين وتقفل حاملةً ذهباً وفضةً وعاجاً وقِردَةً وطواويس . وفيما ذكر يوسيفوس ان صك الحلف بين حيرام وسليمان كان لا يزال باقياً الى ايامهِ بين سجلّات مدينة صور .

ومن ملوك صور أَتْبَعْل الاول ملك سنة ٩٣٤ وكان كاهناً من كهنة عشتاروت وهو ابو ايزابَل التي تزوجها احآب ملك اسرائيل ويُنسَب اليهِ بنآء عدة مدن بفينيقية . وممن ملك بعدهُ حفيدهُ يُجَمليُون سنة ٨٧٤ وكان من امرهِ أن كان لهُ صهرٌ واسع الثروة يقال لهُ سيخآي وهو زوج

اختهِ ديدُون فطمحت نفسهُ الى الاستئثار باموال صهرهِ فذبحهُ بيدهِ على عتبة الهيكل . فلما رأت اختهُ ذلك خافت على نفسها فخرجت في جماعة من ذويها وهاجرت الى افريقيا وقيل انها هي التي بنت مدينة قرطاجة وكان ذلك نحو سنة ٨٦٠

ثم انهُ في سنة ٧١٨ اقبل شلمنصّر ملك اشور ونزل بجيشهِ على صور بعد ما دوّخ مملكة اسرائيل وحاصرها زمناً وكان ذلك على عهد أليلاّي فامتنعت عليهِ فاستولى على صيدآء ومدنٍ اخرى . وفي سنة ٦٠٥ حاصرها بختنصّر الثاني ملك بابل على عهد أَتبَعْل الثالث وقيل الثاني وافتتحها عنوةً بعد حصار ثلاث عشرة سنةً ووضع فيها النار ففرّ اهلها الى الجزيرة المجاورة لها وهي صور الحاليّة وجدّوا في عمارتها وتوسيع حدودها فلم تلبث ان انتقلت اليها عزّة سالفتها . الا ان خلفآء بختنصّر لم يفتأوا يناشبونها القتال حيناً بعد آخر ورأى اهلها ان السلم اسلم فاعطوا بايديهم لملوك بابل واصبحت صور تابعةً لهم تؤدي الجزية . واستمرّ الامر على ذلك الى ما كان من امر قورش واستيلآئهِ على مملكة بابل فدخلت صور في نوبة ملوك الفرس وذلك سنة ٥٣٨ . ثم لما غزا الاسكندر مملكة فارس خضعت صيدآء لسلطانهِ وملّك عليها ابدولونيم من سلالة بعض ملوكها الاولين ولكن صور امتنعت من طاعتهِ فحاصرها سبعة اشهر حتى دخلها عنوةً واعانهُ على افتتاحها اهل صيدآء اذ جهزوهُ بما يحتاج اليهِ من السفن وكان ذلك سنة ٣٣٢ . واذ ذاك انحطّت صور عن عزتها الاولى ولا سيما بعد ان بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية فكانت محطةً للتجارة بين اوربا وآسيا وافريقيا واخيراً ضُمّت فينيقية الى

الجمهورية الرومانية سنة ٦٥ قبل الميلاد فلحقت بسائر البلاد السورية

هذا مجمل ما امكن الوصول اليهِ من تاريخ هذه البلاد ومنهُ يتبين ان الفينيقيين لم يكونوا اهل شوكةٍ وبأس وانما بلغوا ما بلغوهُ من الشهرة والغنى بما اوتوهُ من قوّة الذكآء والتفنن في الصنائع والاختراعات والاقدام على خوض البحار . وكانوا يحملون الى جزائر اليونان الموادّ العطرية والابازير والارجوان وآلات الزينة والملاهي وسائر المصنوعات النفيسة ويجتلبون من جزائر الاتلنتيك القصدير والكهربآء وكانت اذ ذاك اثمن من الذهب ومن ابيريا الفضة والحديد والرصاص ومن البلاد العربية وافريقيا والهند الابنوس والذهب والعاج والحجارة الكريمة

ولبثت سفنهم منتشرة في جهتي الشمال والجنوب من شواطئ البحر الرومي وصلاتهم ممتدة في جميع جزائرهِ ومدنهِ الساحلية الى ان نبغ اليونان في التجارة فاخذوا يتخلون لهم عن النواحي الشمالية ويتحازون الى الجنوب بما كان لهم من العلائق مع المصريين في عهد نخو ومع الاسرائيليين في عهد داود وسليمان ومع من لهم من الطوارئ الفينيقية في قرطاجة وما يقابلها من ارض اسبانيا واهملوا ما كان لهم من التجارة في البحر الاسود ولاسيما بعد اتصالهم بالهند واستيلآئهم على تجارتها . وكانت اكثر طوارئهم في اسبانيا في الجهة الجنوبية المعروفة اليوم بالاندلس وكانوا يقيمون بالناحية المسماة بترشيش أو ترسيس . ومن المدن المشهورة التي ابتنوها هناك قادس والجزيرة ومالقة واشبيلية ومن مدنهم في افريقيا قرطاجة المذكورة بالقرب من تونس وقد وُجد فيها من آثارهم ما لا يُحصى وكذلك في سائر مدنهم

هناك كالحمامات ولبيد وغيرهما وذلك فضلاً عما لهم من المدن في جزائر البحر الرومي كقبرس ورودس وكريت وصقلّية ومالطة وسردينيا وكرسكا وبعضٍ من جزر اليونان ولهم في جميعها آثارٌ باقية الى اليوم

وكما كانت تجارتهم في البحر متسعةً الى مثل الحدود المذكورة فقد كان لهم مثل هذه التجارة في البرّ بواسطة القوافل فكانوا يرسلون بضائعهم جنوباً الى ارض الحبشة والحجاز واليمن وشرقاً الى بابل وما يليها الى آخر حدود آسيا وشمالاً الى بلاد الارمن ونواحي القوقاس وعلى الجملة فقد كانت في ايديهم أزمّة التجارة في الارض كلها ولم يكادوا يطأون ارضاً الا تركوا فيها اناساً منهم فانبثت عاداتهم وعباداتهم بين اكثر امم المعمور

(ستأتي البقية)

المؤتمر الطبي

(تتمة مقالات حضرة النطاسي الفاضل الدكتور صبحي بك[1])

اكتشاف طريقة لحلّ انعقاد الامعاء

لا يخفى ان هذه العلة كثيراً ما يعجز الطبيب عن شفائها وقد يفشل دونها امهر الجرّاحين . ولها اسبابٌ كثيرة لا حاجة الى تفصيلها هنا غير اني اقول انهُ مهما كان سبب الانعقاد ونوعهُ فهو يتضمن وجود عقدةٍ ذات طرفين هي اشبه شيءٍ بعقدة المشعوذ واذ ذاك فلا بد من الاحتيال لحلّ هذه

(١) انظر صفحة ٣٦٣ وصفحة ٤٠٠ وما يليهما